بسم الله الرحمن الرحيم

المقالة الثانية عشرة

﴿ منظومة لمّ الشمل ﴾

الحمد لله البر الرحيم، العليم الحكيم، رحم عباده بهذا الدين العظيم، وبفضله وخيره العميم، والصلاة والسلام على الرسول الكريم، نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدّين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله تعالى بقلب سليم، وبعد:

فإن من الأصول التي استقرّت في شريعتنا الدعوة إلى الاجتماع والائتلاف، والنهي عن الفرقة والاختلاف، ونصوص الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة جدا، قال تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا...﴾ وقال (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا كلّ حزب بما لديهم فرحون)، وقال ﷺ " الجماعة رحمة والفرقة عذاب"[1]، ولا شكّ أن دعوة الإسلام قائمة على الاجتماع، إذ أصلها العظيم ـ وهو أصلٌ في دعوة كلّ رسول ـ التّوحيد، توحيد الله تبارك تعالى بالعبادة والطاعة، وتوحيد النّبيّ ﷺ بالاتّباع، وعن هذا يسأل الناس أجمعون:

ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فمن حقّق الأوّل يكون قد حقّق توحيد المُرسِل، ومن حقّق الثاني يكون قد حقّق توحيد المرسَل، وفي تحقيق التوحيد يسعد الناس بالاجتماع التّام، والألفة العظيمة، وفي قوله تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا...﴾ تقرير لِمَثَلٍ عظيم يدلّ على هذا المعنى، أرأيت لو أن النّاس كانوا في طريق متشعّب الفجاج، لا يدرون أيّ فجّ يسلكون وينتهي بهم إلى برّ الأمان، ورأوا حبلا عظيما يسع الجميع، ويعلمون أن النجاة في اجتماعهم، أرأيت لو أنهم تمسّكوا به جميعا، أكانوا يتفرّقون بعد ذلك؟ لا ، إذ هو يجمعهم، ما دام يسعهم، فكيف بحبل الله تعالى، المتمثّل في الكتاب والسّنّة وبفهم سلف الأمة، فلا شكّ أن الاجتماع عليه والتّمسّك به سبيل إلى الائتلاف، ولابد في التّمسّك بالكتاب والسّنّة من اعتبار فهم السّلف، فهم أوّل من خُوطِب بهذه الآية، وقاموا بها خير قيام، ولذلك أُثِرَ عنهم رضي الله تعالى عنهم الأمر بالاجتماع والنهي عن الفرقة، وفي ذلك آثار كثيرة جدّا، والنّاظر في كتب العقائد يجد السّلف الصّالح يركّزون على هذا المعنى، قال الإمام الطّحاوي رحمه الله تعالى: (ونتّبع السّنّة والجماعة، وتجتنب الشّذوذ والخلاف والفرقة)[2]. ولذلك كان المتمسّكون بهدي السّلف أشدّ

---

[1] أخرجه عبد الله في " الزوائد " (٤ /٢٧٨ و ٣٧٥) وابن أبي عاصم في كتاب "السنّة" (ص٤٤ رقم٩٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وحسنه الشيخ الألباني في "ظلال الجنة في تخريج السنة" و"سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٢٧٢/٢ رقم ٦٦٧).
تنبيه: ذكر الشيخ الألباني رحمه الله تعالى أن الحديث أخرجه أحمد وابنه في الزوائد، وذكر أن المنذري ـ وتبعه السيوطي ـ عزاه لعبد الله بن أحمد، ففاته أن أحمد رواه في مسنده، لكن قد ذكر محقق المسند ـ الشيخ شعيب و من معه ـ (٣٩٠/٣٠ برقم ١٨٤٤٩ و ٣٩٢ برقم١٨٤٥٠) و(٣٢/ ٩٥ يرقم ١٩٣٥٠)أن ما جاء في بعض النسخ: (حدثنا عبد الله حدثنا أبي) خطأ، وكذا قال محققوالمسند ـ طبعة المكنز ـ (٨/ ٤١٩٩ يرقم ١٨٧٤٠)و(٤٤٤٦/٨ ـ ٤٤٤٧ برقم ١٩٦٥٨ و١٩٦٥٩).

[2] ومثل ذلك في كتب "السّنّة"، وكتاب اللالكائي وكتاب الشّريعة والإبانة والحجّة، وغيرها من كتب السّلف في تقرير العقائد.

النّاس حرصا على الاجتماع ونبذ الفرقة، ولا يزال بين زمن وآخر سعيهم ظاهر في ذلك، ولربّما يقع شيء من الفرقة أو الخلاف فيبادر أهل الأثر أتباع السّلف إلى التّذكير والحرص على هذا الأصل العظيم، ألا وهو الحثّ على الاجتماع والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف، فبعد نصيحة أهل الإفتاء، وإرشاد العلماء، وكلام الفضلاء، وبعد رسالة الرّفق وما تضمّنته من رفق، ورسالة الائتلاف وما تضمّنته من إلفة، فها هو دُرٌّ فَوُوحٌ، ونظم من عالم نصوح، يطلّ علينا من طابة الطّيّبة، أعني به منظومة (لمّ الشّمل) لشيخنا المفضال، صاحب الجُهد المتوال، والصّبر على الدّعوة والتّدريس في كلّ الأحوال، في رمضان وفي شوّال، وغيرها من الأماكن والأزمان.

وقد فرحت بهذه المنظومة، كما فرح بها أهل السّنّة وأذاعوها في مواقع كثيرة، فَرُحْتُ أُقَارِضُهَا بمثلها أو نحوٍ منها، وإن كنت لست من أهل الشّعر وفنّه، ولا ممّن يجيد في قولِه، ولكن أحيانا تجود القريحة بأبيات، وتنتظم في ذهني أضرب وعَرُوضات، فتتسلسل تلك التفعيلات، على ما فيها من زحاف واعتلالات، فأقول هاهنا... وهاهنا ...كلمات ... وكلمات، فتجتمع تلك الأبيات، فيا نَاظِرِيهَا تأمّلوا ما فيها، ويا قارئيها اعتنوا بما فيها، ولست في المقام كما هو عليه شيخنا صالح السّحيمي حفظه الله تعالى ورعاه، وإنما حكيت الّذي حكاه، وناديت بمثل مُنَاداه، والمعنى على الكلمات ظاهر كلّ الظهور، كما أنّه طاهر غاية الطّهور، إذ ليس فيه إلا ما دعا إليه الكتاب المسطور، والوحي المزبور، وليس من وراء السّطور شيء مستور، وهو دعوة لأهل العلم والفضل للقيام بواجب الوقت المشهور، والتحذير من كلّ محظور، سائلا الله تعالى التّوفيق للجميع.

وسأبدأ بذكر منظومة شيخنا صالح السّحيمي، ثمّ أسرد من بعدها ما كتبته.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخُنا العلَّامة صالح بن سعد السُّحيمي حفظه الله :

الحمــدُ لله العَظيم الشَّانِ ... في كلِّ يوم ربُّنا في شانِ
ثمَّ الصَّلاة على النَّبيِّ مُحمَّدٍ ... خير البريَّة سيِّد الأكوانِ
أهل العقيدة شَمِّروا وتكاتفوا ... في قَولكم وفِعالكم بوِزَان
وامضُوا لدرب الخير واعلُوا شأنه ... واستبشروا بالنَّصر والرِّضوانِ
أنتم حُماة الدِّين فابنُوا صَرحه ... صَرحًا عظيمًا شامخَ البُنيانِ
أنتم هُداة الحقِّ في غسق الدُّجى ... فاستمسكوا بالحقِّ والإيمانِ
فلْتستفيقوا ولْتهبُّوا إخوتي ... وترفَّقوا في النُّصح للإنسانِ
إنِّي أهيبُ بإخوتي أن يُجمعوا ... لبناء صرح الحقِّ دون توانِ
وتراحَموا وتعاونوا إنْ رُمتمُوا ... دحر العِدا وإغاظة الفتَّانِ
يا أمَّة مِنهاجُها التَّوحيد فلْـ ... ـتتراحمي يا أمَّة الفُرقانِ
إنِّي أرى شَبَحًا مُخيفًا مُحدِقًا ... بصفوفكم يا دُرَّة العقيانِ

قُوموا بعَزم وارحموا إخوانكم   وتأهَّبوا للعَرض والميزانِ
وتذكَّروا يومًا عَبوسًا آزِفًا   فيه الحِسابُ وصِلْيةُ النّيرانِ
ودَعُوا الخلافَ ولملموا أطرافكم   وتمسَّكوا بالشَّرع والفُرقانِ
واستمسكوا بالعُروة الوثقى ولا   تَستسلموا لحبائل الشَّيطانِ
وتذكَّروا يوم القيامة دائمًا   يوم يُشيبُ مفارق الوِلْدانِ
ربَّاهُ أشكو ضعفنا وهَوَاننا   وشماتة الأعدا ذوي البُهتانِ
شبحٌ رهيبٌ فيه فَرْطُ صفوفكم   ووقوعكم في الظُّلم والهُجرانِ
فلتتَّقوا اللهَ الرَّحيم لعلَّه   يُنجيكموا مِنْ موقف الخسرانِ
شَمِتَ الأعادي وانبرَوا لِحصارنا   جَرَّاء بعض جهالة الغِلمانِ
إنَّ القُلوبَ لقد تنافَرَ وِدُّها   وتباعدتْ في السِّرِّ والإعلانِ
والشَّامتونَ بنا تجمَّعَ شملُهم   وقد استغلوا فُرقةَ الإخوانِ
ربَّاه مَنْ يدعُو أُصَيحابي إلى   جَمع الصُّفوف بشِرعة الرَّحمنِ
ما هذه الأحكامُ تصدرُ فجأةً   بالظُّلْم والتَّبديع والهُجرانِ ؟!
تَصَدَّر الأحداثُ للفتن الَّتي   لم ينْجُ منها العالم الرَّباني !
قام الأصاغرُ يُرجِفُون بلمزهم   بالبَتر والإلزام والهذَيانِ

يا شيخنا « **المُفتي** » تدارك أمرَنا   بالنُّصح والتَّوجيه والتِّبيانِ
هبُّوا سليل المجد مع إخوانكم   دُرَرَ الزَّمان كـ « **صالحِ الفَوزانِ** »
وكذا « **اللُّحيدانُ** » الذي أفضالُهُ   معروفة في سائر الأوطانِ
يا شيخنا المفضال « **عبدَالمُحسنِ** »   ساهم بجَهدك يا أخا العِرفانِ
قُم يا « **ربيعَ** » الخير وادعُ شبابنا   واجهد لرأب تصدُّعِ البنيانِ
هذا معالِي الشَّيخُ « **صالحُ** » دائمًا   يدعو الشَّباب بعَزْمَةٍ وتِقانِ
سِيروا على النَّهج الصَّحيح وشَمِّروا   وتنافسوا في البرِّ والإحسانِ
وكذا « **الفَقِيهي** » شيخنا أكرم به   يَنهى أُصَيحابي عَنِ الشَّنآنِ
وأخي « **عُبيدٌ** » جُهدُهُ مُتواصل   يدعو إلى الحقِّ العظيم الشَّانِ
يا صفوة الأشياخ أعلام الهُدى   هاتوا الدَّوا لتشتُّت الخِلَّانِ
أنتم حُماة الدِّين عِلْيَة قَومنا   قُوموا برأب الصَّدع كلَّ أوانِ
وخِتامُها أدعوا إلهي مُخلصًا   بنجاح مجهود صِمام أمانِ
صلَّى عليكَ اللهُ يا عَلَمَ الهُدى   ما ناحَ قَمَريٌّ وغرَّد ثاني

شِعْر الدُّكتور : **صالح بن سعد السُّحيمي**
عضو هيئة التَّدريس في الجامعة الإسلاميَّة
والمدرِّس في المسجد النَّبويِّ الشَّريف

« ١٤٣٦/٥/٢٦ هـ »

وبعد سرد منظومة شيخنا صالح السّحيمي حفظه الله تعالى، أقول:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي ٠١ إِلَى الْهُدَى وَسَائِرَ ٱلْإِخْوَانِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الثَّانِي ٠٢ عَلَى النَّبِيِّ مُدَّةَ الْأَزْمَانِ

فَقَدْ قَرَأْتُ النُّصْحَ لِلْإِخْوَانِ ٠٣ وَذَاكَ نَظْمُ شَيْخِنَا الرَّبَّانِ

اَلشَّيْخَ[3] صَالِحَ بْنَ سَعْدِ الْبَانِي ٠٤ فِي الْعِلْمِ صَرْحًا شَامِخَ الْبُنْيَانِ

لَمَّا دَعَا أَنْ شَمِّرُوا تَكَاتَفُ[4] ٠٥ فِي قَوْلِكُمْ أَفْعَالِكُمْ سِيَّانِ

فَلْتَعْلَمُوا وَلْتَعْمَلُوا ثُمَّ اصْبِرُوا ٠٦ وَاسْتَبْشِرُوا بِالنَّصْرِ وَالرِّضْوَانِ

يَا دُرَّةً مِنْ طِيبَةِ الْعَدْنَانِ ٠٧ فَاحَتْ أَرِيجًا أَذْهَبَتْ أَشْجَانِ

لِذَاكَ قُلْتُ مِثْلَهُو يَا أَهْلَنَا ٠٨ ءَابَاءَنَا أَبْنَاءَنَا إِخْوَانِ

هُبُّوا إِلَى هَذَا الَّذِي دَعَاكُمْ ٠٩ فِيهِ التَّمَاسُكْ[5]، وَارْتِدَادُ[6] الْجَانِ

قَدْ أَبْدَ[7] نُصْحًا خَالِصًا وَصِدْقًا ١٠ فَلْتَحْذَرُوا يَا دُرَّةَ الْعِقْيَانِ

يَا شَيْخَنَا الْمُفْتِي أَبَا عَبْدِ الْمُعِزِّ ١١ وَجِّهْ نَصِيحَةً مَعَ التِّبْيَانِ

ثُمَّ الشَّرِيفِ لْتَشْرُفَنَّ بِاللَّذْ[8] ١٢ يَشْرُفْ بِهِي بَلْعِيدُنَا، وَالْحَانِ[9]

أَيْ شَيْخَ فَضْلٍ زَيْنَ عَابِدِينَا ١٣ سَاهِمْ بِجَهْدٍ يَا أَخَا الْإِيمَانِ

قُمْ يَا ابْنَ مَكِّي الْخَيْرِ وَادْعُو جَاهِدًا ١٤ وَاجْهَدْ لِرَأْبِ الصَّدْعِ فِي الْبُنْيَانِ

[3] يجوز فيه الجر على البدلية، والنصب على الاختصاص، والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو.
[4] أي: وتكاتفوا، وحذف الواو هنا للوزن.
[5] أصله: التّماسكُ، والسكون للوزن.
[6] أي ردّ كيد الجاني.
[7] أصله: أبدى، وحذف الألف المقصور للوزن.
[8] لغة في (الّذي).
[9] الحاني، من الحنو بمعنى العطف.

هَذَا مَعَالِي الشَّيْخِ مَحْمُودُ الَّذِي ١٥ دَعْوَاتُهُو بِالسَّمْتِ وَالْعِرْفَانِ

شَيْخِي اَلاَزْهَرْ رَغِّبَنْ إِخْوَانَكَا ١٦ وَاجْمَعْهُمُو بِشِرْعَةِ الرَّحْمَـــنِ

وَلْتَرْفُقُوا وَلْتَرْحَمُوا أَصْحَابَكُمْ ١٧ ثُمَّ لْتَرُدُّوا الْعَادِيَ الْفَتَّـــانِ

شَيْخِي عُمَرْ [10]اَلْجُهْدُ مِنْهُو وَاصِلٌ ١٨ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

ثُمَّ ابْنَ أَحْمَدْ، فَلْتَصِلْ إِخْوَانَكَا ١٩ أَهْلَ النُّهى وَالْعِلْمِ وَٱلْإِيقَانِ

جُهْدًا وَجِدًّا، ثُمَّ جُودُوا عَلَى الأُلَى[11] ٢٠ يَرْجُونَ مِنْكُمْ لُقْيَةَ ٱلْإِخْوَانِ

لَا نَنْسَ إِخْوَانًا مِنَ ٱلْإِصْلَاحِ ٢١ يَسْعَوْنَ صُلْحًا خُفْيَةً إِعْلَانِ[12]

أَنْتُمْ دُعَاةُ الْحَقِّ فَلْتَنْعَمْ بِكُمْ ٢٢ أَوْطَانُنَا بِالْأَمْنِ وَٱلْإِيمَانِ

أَعْزِزْ بِهِمْ، فَالْمَجْدَ حَقَّقُوهُو ٢٣ وَاسْتَبْشِرِي يَا أُمَّةَ الْفُرْقَانِ

أَكْرِمْ بِشَيْخٍ فَاضِلٍ هُوَ اللَّذْ ٢٤ يَنْهى أُصَيْحَابِي عَنِ الشَّنْآنِ

يَا رَبِّ إِنِّي سَائِلٌ أَوْ[13] طَامِعٌ ٢٥ فَلْتَجْبُرَنْ مَا شَتَّتَ الْخِلَّانِا[14]

وَلُمَّ شَمْلَنَا وَقَوِّ عَزْمَنَا ٢٦ وَامْنُنْ عَلَيْنَا وَاسِعَ الْغُفْرَانِ

ثُمَّ لْتُصَلُّوا وَالسَّلَامُ تَتْرَا ٢٧ عَلَى النَّبِـيِّ أَحْمَدَ الْعَدْنَانِ

فهذا ما جادت به القريحة من الأبيات، سائلا الله تعالى أن أكون قد وُفِّقْت فيها.

[10] بإسكان الراء والنطق بهمزة الوصل، للوزن.
[11] تنطق هكذا: (عَلْأُلَى) للوزن.
[12] أي في السر والإعلان.
[13] (أو) هنا بمعنى الواو، وهو مستعمل في اللغة.
[14] (الخلان) هنا منصوب، فهو مفعول به لفعل شتّت، وكسرته للوزن.

ولا أنسى أن أذكّر بمعنى كنت كثيرا ما أسمعه من أشرطة الشيخ الإمام وعلّامة الشّام أبي عبد الرّحمن محمّد ناصر الدّين الألباني رحمه الله تعالى، وهو أنّ دعوتنا ليست مبنيّة على التكثيف ثمّ لا تثقيف، بل دعوتنا مبنيّة على (ثقّف ثمّ كثّف)، فالعبرة بالتّعليم والتّزكية، بالتّصفية التّربية، والله تعالى أعلم، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

وكان الانتهاء من كتابة آخر حروفه
ليلة الأحد الثالث والعشرين جمادى الثانية
الموافق ٢٠١٥/٠٤/١٢
قاله بفمه وكتبه بيده
أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر بن خدّة
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وإخوانه المؤمنين.